عناية المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع

أحمد محمد حارس أحمد (*)

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله؛ نحُمده ونستعينه، ونستغفرهُ ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومنْ سّيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلّ له، ومنْ يُضلل فلا هادي له، واشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، واشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّةَ، فكشف الله به الغُمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، صلواتُ ربي وتسليماته عليه، وعَلى اله، وصحْبهِ، وسلم يا ربي تسليماً كثيراً.

أما بعد،،،

فالقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي أرسلها الله سبحانه وتعالى مع نبيه ورسوله محمد صلى لله عليه وسلم لتتأيد دعوته ولتكون دستوراً للناس كافة.

فالقرآن الكريم ميسر لمن أراد أن يقرأه أو يتفكر فيه، لأن الله سبحانه وتعالى قد بين لنا أن القرآن ميسر للذكر قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

ولكن مع تقدم الزمان، وبعدنا عن عصر نزول الوحي على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، واختلاف احتياجات كل عصر من العصور وفهمه لكتاب الله، فقد عنى أهل العلم قديماً وحديثاً بتدبر القرآن الكريم وتأمل آياته والوقوف على أحكامه وتوجيهاته، واستنباط العلاقة بين الواقع وحكمه وهداياته.

من أجل هذه الاحتياجات والإشكالات في فهم النص القرآني فقد ظهرت حاجة الناس الماسة إلى من يستنطق الآيات وينزلها على واقعهم المعاصر فيميط لهم اللثام عن تلك الإشكالات وذلك برد النظير إلى نظيره، وارجاع الجزئيات إلى كلياتها، ومن هنا المنطلق تأتي قضية تنزيل الآيات على الواقع التي هي محور البحث.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [تنزيل الآيات على قضايا الواقع عند الإمام الشعراوي (ت ١٤١٩هـ)]، وتحت إشراف أ.د. محمد محمد عثمان يوسف – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. عبد الله محمد يوسف - كلية الآداب- جامعة سوهاج.

(١) سورة القمر، آية رقم:١٧.

أهمية الموضوع ودوافع اختياره:-

١) حاجة الناس الماسة إلى هذا الجانب في التفسير، لاسيما في هذه العصور التي كثرت فيها المستجدات، وفشت النوازل والبلاءات.
٢) عناية المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع والمقارنة بين الاحداث المستجدة في عصورهم وما يناسبها من آيات القرآن.
٣) معرفة حال المفسر، ومدى علاقته بواقعه الذي يدور حوله.

عناية المفسرين بتنزيل الآيات على الواقع: -

لقد عني جمع من المفسرين – قديماً وحديثاً – بذكر امثلة ونماذج تطبيقية يقرنون فيها بين الآيات القرآنية و بعض الوقائع المعاصرة لهم إشارة منهم إلى أن معنى الآية ينطبق على تلك الواقعة، أو أن ما حدث في الواقع يخالف التوجيه الإسلامي.

وما أورده المفسرين في هذا الباب يتفاوت قلة وكثرة، و تصريحاً وتلميحاً، لكنه يدل بجلاء على اتفاق المفسرين على أن نصوص القرآن العظيم صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وأن العبرة فيه بعموم الفاظه، ولعل هذا يفسر لنا عدم إكثارهم في هذا الأمر، أو عدم افرادهم له كتباً ومؤلفات، ذلك أن القرآن كله أصول وكليات تتدرج تحته جميع الفروع والجزيئات، تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [١] ونحوها من الآيات، فهو منهج حياة يحكم كل صغير وكبير من شئون الناس الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية و غيرها. [٢]

وفي هذا الفصل سوف نتناول عناية المفسرين قديماً وحديثاً بتنزيل الآيات على الواقع.

---

(١) سورة الأنعام، آية رقم: ٣٨
(٢) تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن القيم "رحمه الله" ، يحيى بن محمد الزمزمي، جامعة أم القرى ، ص ١٢

أولاً: نماذج من عناية المفسرين القدامى بتنزيل الآيات على الواقع

١) تفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) [١]

ناسب ابن كثير -رحمه الله- أن ينزل قول الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٢] على ما يحدث في واقعه المعاصر من أن بعض الناس تأخذ بعض الأحكام الناتجة من الأهواء، التي وضعها البشر بعيداً من شرع الله فيقول " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به الضلالات والجهالات، مما يصفونها آرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان ، الذي وضع لهم اليساق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنية شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- فلا يحكم سواه في قليل أو كثير" [٣]

٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ت (٦٧١هـ) [٤]

ومن تنزيله -رحمه الله- الآيات على الواقع حثه على الجهاد وعلى

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن خور بن كثير بن درع القرشي، من بني حصله وهو ينسبون إلى الشرف وبغيديهم نسب (مقدمة البداية والنهاية) ويظهر من الاسم أنه ينسب إلى جده./ **يُنظر**: اتحاف النبلاء ببيان تسميه العلماء، الشيخ سامي المسيط، ص ٤
ولد في قرية من أعمال بصرى الشام وانتقل مع أبيه إلى دمشق ورحل في طلب العلم حتى صار من الأئمة المشار إليهم وتوفى بدمشق عام ٧٧٤/ **أنظر** موسوعة الاعلام، وزارة الأوقاف المصرية، ج١، ص ٤٧٩

(٢) سورة المائدة، آية رقم: ٥٠

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، ج٣، ص ١٣١.

(٤) هو: ابو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي كان مقرة بمنيه بن خصيب ، "محافظة المنيا بمصر" توفى ودفن بها وله كتاب جامع أحكام القرآن في تفسير القرآن، ت ٦٧١هـ/ **أنظر**، موسوعة الإعلام ، وزارة الأوقاف المصرية، ج ١، ص ٤٤٥/ يُنظر – الإعلام للزركلي، ص ٣٢٤

الصبر عند ملاقاة الأعباء وذلك في معرض تفسيره يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ (١).

فيقول: "وفي قولهم رضي الله عنهم ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ الآية تحريض على القتال واستشعار الصبر واقتداء لمن صدق ربه، قلت: هكذا يجب علينا نحن أن نفعل؟ لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير منا قدام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا ! (٢).

ومن تنزيله ايضاً الآيات على الواقع تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣)

فيقول " في هذه الآية دليل على وجوب ارتفاع المدعو إلى الحاكم لأنه

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٤٩

(٢) الجامع لأحكم القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م، ج٣، ص ٢٥٥

(٣) سورة آل عمران، آية رقم: ٢٣

دعى إلى كتاب الله، فإن لم يفعل كان مخالفاً يتعين عليه الزجر بالأدب على قدر المُخالفِ والمخَالفِ. وهذا الحكم جار عندنا بالأندلس وبلاد المغرب وليس بالديار المصرية" [١].

ومن تنزيله ايضاً الآيات على الواقع حديثه عن القصاص في بلاده وذلك عـن تعرضـه لقـول الله تعـالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢]

فيقول "وأما الأطراف فيجب القصاص في جميع المفاصل إلا المخوف منها. وفي معنى المفاصل ابعاض المارن والأذنين و الذكر والاجفان والشفتين، لأنها تقبل التقدير. وفي اللسان روايتان. والقصاص في كسر العظام، إلا ما كان ملتفاً كعظام الصدر والقلب والفخذ وشبهه، وفي كسر عظام العضد القصاص وقضى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في رجل كسر فخذ رجل أن يكسر فخذه، وفعل ذلك عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن اسيد بمكة. وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه فعله، وهذا مذهب مالك على ما ذكرنا، وقال أنه الأمر المجمع عليه عندهم، والمعمول به في بلادنا في الرجل يضرب الرجل فيتقيه بيده فكسرها يفاد منه" [٣]

ومن تنزيله الآيات على الواقع عند القرطبي – رحمه الله- حديثه عن تغسيل الشهداء وتكفينهم وذلك لدى تعرضه لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [٤].

فيقول " الخامسة ... العدو إذا صبح قوماً في منزلهم ولم يعلموا به فقتل

---

(١) الجامع لأحكم القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م، ج٤، ص ٥٠

(٢) سورة المائدة، آية رقم: ٤٥

(٣) الجامع لأحكم القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م، ج ٦، ص ٢٠٣، ٢٠٤

(٤) سورة آل عمران، آية رقم: ١٦٩

منهم فهل يكون حكمه حكم قتيل المُعترك. أو حكم سائر الموتى، وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله: اغار العدو وقصمه الله- صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في اجرانهم على غفلة، فقتل واسر، وكان من جُملة من قتل والدي رحمه الله، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبي حِجَّة فقال غسله – وصلي عليه، فإن اباك لم يقتل في المعترك بين الصفين. ثم سألت شيخنا ربيع بن عبدالرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي فقال: أن حكمه حكم القتلى في المعترك. ثم سالت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالو: غسله وكفنه وصلي عليه، ففعلت . ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في "التبصرة" لأبي الحسين اللخمي وغيرها. ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسلته، وكنت غسلته بدمه وثيابه" [1].

٣) <u>البحر المحيط: لأبي حيان (ت ٧٥٤ هـ)</u> [2]

ناسب -رحمه الله – أن ينزل العديد من الآيات على ما يحدث في واقعه المعاصر على سبيل المثال يقول لدى تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ ﴾ [3].

فيقول " ولما حللت ديار مصر ورأيت كثيراً من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهراً من غير أن ينكر ذلك تعجبت من ذلك، إذا كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والإنكار له، و أنه إذا بيع كتاب في المنطق إنما يباع

---

(١) الجامع لأحكم القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م، ج ٤، ص ٢٧١، ٢٧٢

(٢) هو: محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي. من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين حالة: كان نسيج وحدة في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك والحفظ و الاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريقة الرواية، إمام النحاة في زمانه غير مدافع، نشأ ببلدة غرناطة.

تواليفه: وتواليفه كثيرة منها شرحه كتاب "تسهيل الفوائد لابن مالك" ، وكتابه في تفسير الكتاب العزيز، وهو المسمى بـ "البحر المحيط"/ **يُنظر**: الاحاطة في اخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني اللوشي الأصلي، الغرناطي الأندلسي، أبو عبدالله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت:٧٧٦هـ) – دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٢٤هـ، ج٣، ص ٢٨

(٣) سورة يونس، آية رقم: ٢٧

خفيـة، و أنـه لا يتجاسـر أن ينطـق لفـظ المنطـق، إنمـا يسـمونه المفعـل، حتـى أن صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أبـا عبدالله محمد بـن عبدالرحمن المعروف بـابن الحكيم كتـب الينـا كتابـاً مـن الأنـدلس يسـألني أن اشـتري أو استنسـخ كتابـاً لـبعض شيوخنا في المنطق، فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير، فسماه في كتابه لي بالفعل" (١).

وعن تنزيله الآيات على واقعه المعاصر ما قاله في معرض تفسيره لقول الله تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ (٢)

فيقـول " قـال بعـض العلمـاء: ولـذلك اتسـع نطـاق الإسـلام فـي الشـرق والمغرب دون اتساعه في الجنوب والشمال قلت: ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام معظـم العـالم فـي المشـرق كقبائـل التـرك، وفـي الغـرب كـبلاد السـودان التكـرور والحبشة وبلاد الهند" (٣).

ومن تنزيله الآيات علـى الواقـع حديثـه عن من ادعـى النبوة فـي عصـره، حيـث ناسـب أن ينـزل قـول الله تعـالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ (٤) على ما يحدث في واقعه المعاصر فيقول " ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا

---

(١) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بـ أبي حيان الأندلس، ت ٧٥٧، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت ١٤٢٠هـ ج٦، ص ٤٧

(٢) سورة النور، آية رقم: ٥٥

(٣) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بـ أبي حيان الأندلس، ت ٧٥٧، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت ١٤٢٠هـ ، ج٨، ص ٦٤

(٤) سورة الأحزاب، آية رقم: ٤٠

تنقطع، أو إلى أن الولي افضل من النبي، فهو زنديق يجب قتله. وقد ادعى النبوة ناس، فقتلهم المسلمون على ذلك. وكان في عصرنا شخص من الفقراء ادعى النبوة بمدينة مالقة، فقتله السلطان بن الأحمر، ملك الأندلس بغرناطة، وصلب إلى أن تناثر لحمه" (١)

ثانياً: نماذج من عناية المفسرين تنزيل الآيات على الواقع في العصر الحديث

١) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي ت ١٣٧١

ناسب الإمام المراغي -رحمه الله- أن ينزل العديد من الآيات على ما يحدث في واقعه المعاصر فيقول عند تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ (٢)

فيقول " المخلص في صدقته لا يعسر عليه حين الصدقة في المصالح العامة – أن يجمع بين إخفاء الصدقة الذي يسلم له من منازعة الرياء، وبين ابدائها الذي يكون مدعاة الأسوة والاقتداء، بأن يرسل حوالة مالية لجمعية خيرية ولا يذكر لها اسمه أو يذكره لرئيسها أو أمين صندوقها تحسب، وقد جرت عادة الجمعيات ان تشيد بمثل هذه الصدقة بلسان أعضائها أو بلسان الجرائد والمجلات ونحوها، وذلك أوسع طرق الشهرة وابعدها مدى في عصرنا" (٣).

وعن تنزيله الآيات على الواقع – أيضاً – لدى تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ

(١) المرجع السابق، ج٨، ص ٤٨٥

(٢) سورة البقرة، آية رقم: ٢٧١

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ت ١٣٧١هـ ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م، ج٣، ص ٤٦

ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١).

فيقول "وهذا الاعتذار وما اشبهه مما يعتذر به الذين سايروا أهل البدع في عصرنا الحاضر بحجة دفع الأذى عن أنفسهم بمداراة المبطلين، وذلك عذر لا يعتد به، إذا الواجب عليهم إقامة الحق على احتمال الأذى في سبيل الله، أو الهجرة إلى حيث يتمكنون من إقامة دينهم" (٢).

ومن تنزيله الآيات على الواقع المعاصر تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾(٣)

فيقول " أي قال ذلك بعض منهم، ونسبه إلى الأمة بناء على التكافل بين افرادها وكونها كالشخص الواحد، وأن الناس في كل زمان يعزون إلى الأمة ما يسمعون من بعض افرادها وقد جرت سنة القرآن أن ينسب إلى المتأخرين ما قاله أو فعله سلفهم منذ قرون.

ولا عجب في صدور هذا القول عن بعض الأشخاص منهم، فإنا نرى من المسلمين في عصرنا مثله في الشكوى من الله عز وجل والاعتراض عليه عند الضيق وفي إبان المصائب" (٤).

وعن تنزيله الآيات على الواقع حديثه عن طرق الفساد في عصره فيقول -رحمه الله – في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ

---

(١) سورة النساء، آية رقم: ١٠٠

(٢) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ت ١٣٧١هـ ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م، ج٥، ص ١٣١، ١٣٢

(٣) سورة المائدة، آية رقم:٦٤

(٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ت ١٣٧١هـ ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م، ج٦، ص ١٥٢، ١٥٣

ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1]

فيقول ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ الافساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وامور الدين واخلاق النفس وحفاتها، وكل ذلك فاش في عصرنا أي لا تفسدوا في الأرض وانتم تتعمدون الإفساد، إنما اشترط في النص تعمد الافساد، لأن بعض ما هو افساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع اخف الضررين كما يقع في الحرب من قطع الأشجار أو فتح سدود الأنهار أو احراق بعض الغابات، وكما فعل الخضر عليه السلام للسفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر، لأجل منع الملك الظالم الذي ورائهم من اخذها إذا أعجبته، وهذا نهي عام يشمل غير ما سبق، كقطع الطرق، وتهديد الأمن، وقطع الشجر، وقتل الحيوان، ونحو ذلك" [2]

٢) <u>التفسير الوسيط للزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي</u>

ناسب الدكتور وهبة أن ينزل العديد من الآيات على واقعه المعاصر فيقول لدى تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن

---

(١) سورة هود، آية رقم:٨٥

(٢) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ت ١٣٧١هـ ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م ، ج١٢، ص ٧٠، ٧١

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[١]

فيقول " تتكرر حوادث القتل الخطأ كثيراً في الحياة العملية، و أكثرها في عصرنا الحاضر حوادث السير والمرور بالسيارات وما يترتب عليها من دهش وتصادم ولا تخلو جميع حوادث القتل الخطأ من تقصير أو اهمال أو ترك التثبت والاحتياط في الأفعال، لذا لم يعف الشرع القاتل خطأ من المسئولية و أوجب عليه الدية والكفارة بإعتاق رقبة مؤمنة عند القدرة، أو صيام شهرين متتابعين عند العجز عن الرقبة، كما هو الحاصل في عصرنا حيث حرم الرق في العالم. وكذلك من باب أولى حرم الشرع القتل العمد وأوجب على القاتل عمداً القصاص في الدنيا إلا أن يعفو ولي الدم قريب المقتول، والخلود في نار جهنم في الأخرة إلى ان يتوب" [٢]

ومن تنزيله الآيات على قضايا الواقع المعاصر حديثه عن مصارف الصدقات في عصره فيقول لدى تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٣].

فيقول " الصنف الثالث: هم العاملون على جباية الزكاة من أهلها، وهم السعاه والجباه الذين يبعثهم الإمام الحاكم لتحصيل الزكاة بالتوكيل على ذلك، ويشمل في عصرنا القائمين على مؤسسات أو صناديق الزكاة ف البلدان الإسلامية. ويعطي هؤلاء بقدر كفايتهم بصفة أجر على عملهم وإن كانوا أغنياء" [٤].

---

(١) سورة النساء، آية رقم: ٩٢، ٩٣

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ، ج١، ص ٣٦١

(٣) سورة التوبة، آية رقم: ٦٠

(٤) التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ، ج١، ص ٨٧٧

ومن تنزيله الآيات على الواقع تنزيله لقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

فيقول "أي اعطاكم يا جنس البشر سؤلكم وحقق مطلبكم، من كل ما شأنه أن يسأله الإنسان وينتفع به، ولا يطرد هذا في واحد من الناس، وإنما تفرقت هذه النعم في البشر، فهم الأسرة الكبرى الذين ينتفعون بنعم الله، موزعة بحكمة إلهية؛ ونسب حسابية على وفق المصلحة التي يعلم بها الله في كل إنسان.

ومقتضى هذا أن النعم كثيرة ومتنوعة ومتجددة ايضاً في الزمان و المكان. وهذا ما نشاهده في عصرنا الحاضر حيث امتلأت ساحات الحياة بألوان من النعم في النفس والمنزل والشارع ومجالات العمل المختلفة" [2].

٣) <u>التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي</u>

يقول في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾[3]

فيقول " أما ضرر البخل في الدنيا فتعريض مال الغني للضياع والنهب والسرقة والاحقاد، وفي عصرنا وغيره ظهور الحملات الشنيعة على الأغنياء المترفين، وانتشار الأفكار والنظريات المسماة بالاشتراكية التي ظهرت لتفويض

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم: ٣٤
(٢) التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج٢، ص ١٢٠١
(٣) سورة آل عمران، آية رقم: ١٨٠

أركان الرأسمالية" [١]

ومن تنزيله الآيات على قضايا الواقع حديثه عن أولئك الذين يتخذوا الكفار أولياء من دون الله في عصره وذلك لدى تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ ﴾ [٢]

فيقول "وهذا شأن المنافقين والمستضعفين في كل زمان ومكان، يتخذون صداقات وموداة عند زعماء الكفر لتأييدهم ودعمهم اثناء الأزمات، وقد اثبت الواقع تخليهم عنهم وقت المحنة الشديدة وبيع صداقتهم بثمن بخسن وقد رأينا في عصرنا كيف تتخلى أمريكا مثلاً عن رئيس دولة ما عاش كل عهده حليفاً لها، ومنفذاً لمآربها، وسائرا في مخططاتها، فهي التي تستخدمه وتستهلكه، ثم تتخلى عنه وقت المحنة والأزمة، فخاب كل من استعان بغير الله وبغير أهل دينه" [٣]

ومن تنزيله الآيات على الواقع المعاصر حديثه عن اللهو في العصر الحديث وهذا لدى تعرضه لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ ﴾[٤]

فيقول " ومع الأسف استبد اللهو في عصرنا في أفعال وأقوال كثيرة من

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ، ج٤، ص ١٨٠

(٢) سورة المائدة، آية رقم: ٥١، ٥٢

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ، ج٦، ص ٢٢٦

(٤) سورة المؤمنون، آية رقم: ٣

الناس برؤية التلفاز، وقراءة المجلات غير النافعة واللعب بالأوراق، واللهو، والعبث، وضياع الوقت فيما لا يجدى، مع أن الوقت من ذهب، إذا وصفت أمتنا بالتخلف لإهدار قيمة الوقت بين افراد شعبها" (١)

٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: - الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

من تنزيله الآيات على الواقع المعاصر تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

فيقول " وعلى هذه الطريقة تفسير الجيوش في العصر الحاضر، و سر هذا افهم كانوا كذلك ... ذادت قوتهم المعنوية وتنافسوا في الطعان والنزال والكرُّ والفرُّ إلى ما في ذلك من ادخال الروع والفزع في نفوس العدو؛ إلى ما لحسن النظام في امضاء العمل والدقة والإحكام، ومن ثم امرنا بتسوية الصف في الصلاة، وأن لا يجلس المصلي في صف خلفي إلا إذا اكتمل ما في الصف الأمامي، وهكذا تراعى الأمم في عصرنا الحاضر النظام في كل أعمالها، في أكلها ونومها، ورياضتها وتربية أولادها، بحيث لا يطفى عمل على عمل، فلا يجد وقت لا يعدوه، وللرياضة وقت أخر، وللنوم كذلك، ولهذا لا يوجد تواكل، ولا تراخ في الأعمال ولا تخاذل فيها، ومن ثم جاء في الأثر: " افضل الأعمال إلى الله أدومها، وإن قل" (٣) .

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبه بن مصطفى الزحيلي، ج١٨، ص ١٢

(٢) سورة الصف، آية رقم: ٤

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الأرمي، مراجعة الدكتور، هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت ، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ج ٢٩، ص٢٥٠

الخاتمة

في النهاية نحمد الباري ونشكره على فضله ونعمه ورحمته، ها نحن نخطو بأقلامنا الخطوط الأخيرة لهذا البحث .فإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وإن وفقنا فمن الله عز وجل .وقد قال عماد الدين الأصفهاني:" رأيت إنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل .وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

وقد توصلت في نهاية هذا البحث إلى أهم النتائج وأهم التوصيات وهي كالآتي:-

أهم النتائج

١) تقريب معنى الآية لفهمها عند الناس.
٢) تنمية علاقة المسلم بنصوص الوحي المنزل، وربط بكتاب الله.
٣) معرفة موقف المفسر من هذا الحدث النازل سواء كان بالتفاعل معه، أو الإعراض عنه.
٤) ربط المسلم المعاصر بكتاب الله تعالى، وإزالة الفجوة بينه وبين القرآن.
٥) بيان أن هناك بعض القوانين الوضعية مخالفة لشرع الله.

أهم التوصيات

١) أوصى طلاب العلم بالاهتمام بقضية تنزيل الآيات على الواقع.
٢) أوصى أهل العلم وطلابه بالعناية بكتاب الله فهماً وتدبراً وعلماً وعملاً.

المصادر والمراجع

- إتحاف النبلاء ببيان تسميه العلماء، الشيخ سامي المسيط.
- الإحاطة في اخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني اللوشي الأصلي، الغرناطي الأندلسي، أبو عبدالله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت:٧٧٦هـ) – دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٢٤هـ
- الإعلام للزركلي.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بـ أبي حيان الأندلس، ت ٧٥٧، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر -بيروت ١٤٢٠هـ.
- تفسير الشعراوي.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ت ١٣٧١هـ ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
- التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر-دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الأرمي، مراجعة الدكتور، هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن القيم "رحمه الله" ، يحيى بن محمد الزمزمي، جامعة أم القرى.
- الجامع لأحكم القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- موسوعة الاعلام، وزارة الأوقاف المصرية.